

الاستشراق و الدراسات القرآنية -3-

المستشرقون و التحقيق والفهرسة والتدوين

من معالم جهود المستشرقين البارزة في مجالات الدراسات القرآنية نشر جملة نفيسة من الكتب ، وتحقيق طائفة من المصادر التي تبحث في القراءة والتفسير وعلوم القرآن ، وقد جاءت هذه الذخائر محققة في أغلبها على الوجه الأكمل ، مما يكشف لنا عن صدق المعاناة ، والصبر والجلد والأناة ، في إيصال النص للمتلقي كما تركه مؤلفه ، وكما كتبه مصنفه ، ولم يكتف بهذا عند المستشرقين ، بل توج العمل التحقيقي بفهارس وملاحق تنير أمام القارئ الطريق في الافادة من النصوص.

أ. التحقيق:

والحق أن المانيا قد سبقت في هذا المجال سبقا مجليا ، فنشرت لنا من التراث القرآني على يد علمائها ، ما نحن بحاجة ماسة إليه ، وقد تكفل القرن التاسع عشر بتأصيل هذا الجهد الاستشراقي ، وإعطاء ثماره يانعة. حيث قرر المجمع العلمي البافاري في ميونخ جمع المصادر الخاصة بالقرآن الكريم وعلومه ، وضبط قراءاته لنشرها ، فتولى الأستاذ براجشتريسر (1886 م - 1933 م) هذه المهمة الفريدة ، وعاونه في بعضها الأستاذ أوتو بريتل (1893م - 1941 م). فقد انتدب المجمع المذكور بريتل بعد وفاة براجشتريسر لاستكمال هذا الجهد ، فبادر من فوره إلى تصوير تلك المصادر والمصاحف تصويرا شمسيا في عدة نسخ لتيسير الاطلاع عليها في ميونخ ، والحصول على صور منها ، ثم تدوين كل آية من القرآن الكريم في لوح خاص ، يحوي متنوع الرسم في مختلف المصاحف ، مع بيان قراءاتها ومتعدد تفاسيرها.

وقد أنجلت هذه المهمة الخاصة عن نشر هذه الطائفة من المصادر في القراءة والتدوين وعلوم القرآن على الوجه الآتي:

1. كتاب التيسير في القراءات السبع : لأبي عمر وعثمان بن سعيد الداني.
 2. كتاب المقنع في رسم مصاحف الأمصار ، من كتاب النقط : للداني.
 3. كتاب مختصر الشواذ : لابن خالويه : المكتبة الإسلامية ، مجلد 7 ، 1943 م.
 4. كتاب المحتسب لابن جني : وقد طبع بحروف لاتينية ، منشورات المجمع العلمي البافاري ، ميونخ ، 1933 م.
 5. غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري ، المكتبة الإسلامية ، مجلد 8 ، 1933 م . 1935 م بالقاهرة.
 6. كتاب معاني القرآن للفراء النحوي.
 7. ويبدو أن براجشتريسر وبريتسل ، كانا على جانب كبير من الاهتمام بدراسة القرآن الكريم ، ونشر ما يتعلق بآثاره ، فقد اشتركا في نشر الجزء الثالث من تأريخ النص القرآني لنولدكه.
 8. ولقد نشر بريتل بمعاونة إيزبي : فصائل القرآن . وآدابه ، لأبي عبيد القاسم بن سلام.
 9. ومما تجدر الإشارة إليه إنَّ لبريتسل بحوثا تتعلق في مخطوطات نادرة بعلوم القرآن ، وتحقيقات في أهمية هذه الكتب ، ووصفا لمحتوياتها ، وتعليقات على مناهجها.
- فله في مجلّة إسلاميكاً:

- أ. كتاب معاني القرآن لابن منظور (٦ / ١٦).
- ب. كتاب تعليل القراءات السبع للشيرازي (6 / 17).
- ج. كتاب المشتبه في القرآن للكسائي (6 / 24).
1. المستشرق الألماني فرايتاج (1788 م . 1861 م) حقق ونشر بمجهوده:
أسرار التأويل وأنوار التنزيل للبيضاوي ، لبيزج ، 1845م.
2. المستشرق الانكليزي وليم ناسوليز (1825 م . 1889 م) حقق طيلة أربع سنوات : (1856 م . 1859 م) ،
الكشاف لجاد الله الزمخشري في 485 صفحة.
3. المستشرق النمساوي شبرنجر (1813 م . 1893 م) ، حقق ونشر : الاتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين
السيوطي.
4. المستشرق الانكليزي السير وليم موير (1819 م . 1905 م) حقق كتاب : شهادة القرآن لكتب أنبياء الرحمن ،
نشر (1960 م).
5. المستشرق المريكي آرثر جفري ، قام بتحقيق ونشر:
أ. كتاب المصاحف للسجستاني (مؤسسة دي خويه ، ليدن ، 1937 م).
ب. مقدمتان في علوم القرآن ، لابن عطية ومجهول ، طبع في دار الصاوي ، القاهرة ، 1972 م .
- إن هذه القوائم المتقدمة لا تمثل كل نتاج المستشرقين في عالم التحقيق ، بل تمثل أبرز الأعمال وأهمها من خلال استقراءنا
فحسب.
- إنَّ سبب حرص المستشرقين على الكُتُب التي صنفها بعض علماء الإسلام فيما يتصل بنقل القرآن، هو البحث عن
طريق للطعن على القرآن، فتراهم أول من اعتنى مثلاً بنشر كتاب "المصاحف" (لأبي بكر بن أبي داود السجستاني)،
فعمد هؤلاء إلى نشره وترجمته إلى بعض لغاتهم؛ ظناً منهم أنهم وجدوا فيه بعض مرادهم، لما تضمنه من حكاية قصة
جمع القرآن والمصاحف التي كانت عند بعض الصحابة مما فيه اختلاف حرف أو ترتيب عن مصاحف المسلمين، فكثير
من الشبهات التي أوردت على القراءات وجمع القرآن ورسم المصحف منشؤها هؤلاء المستشرقين في كتبهم تلك وفي
تحقيقاتهم.

ثانيا . الفهرسة:

وأما فهرسة القرآن الكريم فقد ظهرت بشكلها البدائي في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر حينما
وضع المستشرق الانكليزي وليم بدويل (1561 م . 1632 م) فهرسا للقرآن باللغة التركية ، مع تعداد تفاسير القرآن
، وطبع في ليدن سنة 1615 م (نجيب العقيقي ، المستشرقون : 465)
أما فهرسة القرآن بإطارها العلمي المنظم فقد بدأت في أوائل القرن التاسع عشر ، وقد تأصلت . فيما وصل إلينا . عند
المستشرق الألماني الأستاذ جوستاف فلوجل (1802 م . 1970 م) حينما ألف أول معجم مفهرس للقرآن الكريم في
اللغة العربية ، عني بألفاظ القرآن ومفرداته وأسماء:

"نجوم الفرقان في أطراف القرآن" وطبع لأول مرة عام (1842 م) في ليبزيغ ، وقد كان هذا الكتاب نواة صالحة ، بل أساسا محكما ، اعتمد عليه محمد فؤاد عبد الباقي في وضع : (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) فتعقب عليه ما فاتته ، واستدرك فيه ما خفي عليه من وجه الصواب (٢). (لقد كان عمل الأستاذ فلوجل من أعمال المستشرقين الجلييلة حتى أننا لم نجد مثله في فهرسة مواد القرآن وألفاظه ، حتى إذا جاء المستشرق الألماني مالير (1857 م . 1945 م) وجدناه قد استند على معجم فلوجل ، فألف (دليل القرآن) وقد جمع فيه مفرداته وأفعاله حتى حروف الجر والعطف ، وقد رقت فيه السور والآيات لهذه الغاية .

ولقد قام المستشرق الفرنسي (جول لا بوم) بوضع (تفصيل آيات القرآن الكريم) باللغة الفرنسية ، وذلك بترتيب الآيات الخاصة بالموضوع الواحد في فصل واحد ، فكأنه قد فرق القرآن نجوما بحسب موضوعاته فجمعها موضوعا موضوعا ، ولقد قام الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي

صاحب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بترجمة هذا العمل الجليل إلى اللغة العربية بإشارة من السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ، وقضى في ترجمتها سبعة شهور كاملة ، كان نهايتها سنة ١٩٢٤ م وطبعت عدة مرات ، ولقد ذيلها بعد نفاذ الطبعة الأولى بفهرس تفصيلي وضعه المستشرق الفرنسي الأستاذ ادوار مونتييه وسماه بالمستدرك بعد أن نقله إلى العربية أيضا ، وقد وقر الأستاذ عبد الباقي رحمه الله للباحثين فرصة كبيرة حينما ترجم هذين العملين الخالدين ، فكان أحدهما مكملا للآخر وان لم يستوعبا مواد القرآن وموضوعاته ولا آياته بعامه.

بل ندت بعض الآيات في بعض الأبواب التي بلغت العشرات ثم قسمت إلى مئات المفردات من الموضوعات القرآنية . وهناك بحث عن مفردات القرآن للمستشرق الأمريكي تشارلز توادي المولود سنة 1863 م ، نشر في مجلة عالم الإسلام 1939م.

لقد رأينا جهود المستشرقين في الفهرسة تنصب في قناة أخرى تمثل اتجاهها يدور حول فهرسة ما ألف في القرآن تارة ، وفي قرائه تارة أخرى ، وتقتصر الثالثة على فهرسة بعض كتب التفسير بما يعتبر عملا « بيلغرافيا » محضا .

١ . فمن النوع الأول ما قام به المستشرق الانكليزي (ستوري) المولود 1888 م فقد وضع فهرسا حاصا بأدب القرآن لمكتبة ديوان الهند في لندن في 450 صفحة ، وطبع في كمبريدج عام 1930 م .

وهناك بحث في هذا المجال للمستشرق الألماني الأستاذ هلموت ريتز ، عن القرآن والحديث في مكنتبات استانبول نشره في مجلة الإسلام الألمانية 1928م .

2 . ومن النوع الثاني ما قام به الأستاذ براجشتريسر في وضع معجم لقراء القرآن مع تراجمهم ، وكان ذلك بحثا رقي به صاحبه إلى درجة الاستاذية عام 1912 م .

ومن الجدير بالذكر في هذا المجال ، أن نجد بريتل قد صنف كتابا عن (مراجع القرآن وعلومه) ، ورسالة في (تأريخ علم قراءة القرآن) ، والكتابان مرجعان في فهرسة مراجع القرآن وقراءاته (أنظر: نجيب العقريقي ، المستشرقون : 760).

3 . ومن النوع الثالث ما حققه المستشرق الألماني هوسلاتير إذ وضع فهرسا لتفسير الطبري في ستراسبورج سنة . 1912 م. وترجم جوزيف شاخت مقتطفات منه ، ليدن سنة 1930 م (المرجع نفسه : 729).

و لقد تضاءل مؤخرًا اهتمام المستشرقين بأعمال التحقيق وخدمة التراث المخطوط خلال القرن الهجري الحالي لأسباب عدة منها:

1. ضعف التكوين العلمي
2. تقلص الدعم الذي كانت تحظى به أقسام الدراسات الشرقية.
3. عزوف الغربيين عن التخصص في هذا المجال.
4. تراجع مكانة دور النشر المتخصصة مثل مكتبة جاك بريل بمدينة ليدن في هولندا، ولوفان في بلجيكا وفرنسا.

ثالثًا . التدوين:

وفي مجال التدوين وحفظ النصوص نجد أن في مكتبة باريس الوطنية 1654م قد تجمعت قطع من القرآن على الرق من القرون الثاني والثالث والرابع للهجرة (المرجع نفسه : 156).
وبإشراف المجمع العلمي البافاري في ميونيخ تم تدوين كل آية من القرآن الكريم في لوح خاص يحوي ، متنوع الرسم في متعدد المصاحف مع بيان قراءاتها وتنوع تفاسيرها. (المرجع نفسه : 691م)
وهناك بحث عن هذا الموضوع بعنوان (صحائف القرآن) للمستشرق الأمريكي : كورما رازومي (1788 م . 1947 م) تراه في نشرة المتحف الفني في بوسطن 1920م
وهناك جهد تدويني من نوع خاص يدور حول فهرسة المخطوطات المتعلقة بالقرآن أو تفاسير أو علومه ، ويمثل هذه الظاهرة اثنان من المستشرقين:

- 1- . فيراتشكو فسكايا ، (ولدت 1884 م) ، زوجة المستشرق الروسي كراتشكوفسكي ، فقد بحثت بأصالة عن نوادير مخطوطات القرآن من القرن السادس عشر
الأستاذ كارل بروكلمان الذي لخص لنا في صورة إجمالية أسماء من ألف بالقراءات ، مستعينا بما كتبه براجشتريسر في كتابه : (تأريخ القرآن) ، وما جاء في الفهرس ، وما اطلع عليه هو شخصيا ، ثم تدرج تأريخيا بإعطاء جدول بأبرز المفسرين ما بين القرن الأول الهجري حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، مبتدئا بابن عباس) ومنتها بتفسير القرآن ، لأبي الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم .(بروكلمان ، تأريخ الأدب العربي : 4 / 1-19 ، ترجمة د. يعقوب بكرود. رمضان عبد التواب . دار المعارف بمصر ، القاهرة 1977 م) .

رابعًا : اعداد الدراسات و التقارير

لقد نشر المستشرقون المعاصرون عشرات الدراسات و المقالات و المختصرات عن القرآن و تفسيره خلال الربع الأول الهجري الحالي و تتبع بعضهم ماصدر و طبع في مجال الدراسات القرآنية ، كما تشهد لذلك الصفحات المخصصة للمتابعات ضمن مجلتي أريبيكا و ستوديا اسلاميكا
و سنقتصر على ذكر نماذج منها:

1- في مجال التفسير نشر الفرنسيون سنة 1983م مختصراً لتفسير الطبري و نشر الايطاليون علل امتداد سنتين 1984م و 1985 مختارات من تفسير القران سهر على انتقائها و ترجمتها خمسة من المسيحيين ونشرت في مجلة المعهد البابوي للدراسات العربية .

2- في مجال الدراسات و المقالات نذكر الأمثلة التالية :

أ- نشرت دار أندريه ريبان : " مدخل إلى تاريخ التفسير " عام 1987 في 346 صفحة صفحة ضمن سلسلة أكسفورد صفحة بالإنجليزية ضمن سلسلة أكسفورد.

ب- و نشرت انجيليكا نوريت مسائل نافع بن الأزرق سنة 1993م في مجلة المستشرقين الألمان و نشر بلندن سنة 1993م ضمن مجموعة دراسات انجليزية " مدخل القرآن في 347 صفحة .

غير أن أغزر المستشرقين كتابة وتأليفاً عن القرآن خلال الربع الأول من القرن الخامس عشر هو الفرنسي كلود جيليو، فبعد مناقشته لأطروحة دكتوراه السلك الثالث في تفسير الطبري بجامعة باريس الثالثة 1982م، ثم دكتوراه الدولة في الموضوع نفسه عام 1987م، نشر سلسلة من الدراسات عن جامع البيان وعن مؤلفه في عدد من الدوريات الاستشراقية ما بين 1990 - 1994م لينتقل بعد ذلك للبحث والتأليف في التفسير ورجاله خلال القرنين الثاني والثالث، وأكثر دراساته مقدمة للمشاركة في مختلف الندوات المتخصصة بفرنسا وألمانيا، ومن ضمن ما طبع منها:

- نشأة تفسير القرآن.
- مقال بن سليمان مفسر أثري وأصولي مُجَرَّح.
- لمحات عن التفسير والمفسرين.